في ذكرى استشهاد قاسم عبد الامير عجام

عـــن المدى التـي كـانـت بـيـت أخـــي القتيل

علي عبد الأمير عجام×

بـلا أي مقدمات أطل عليكم ..ذلك أنني أرى أن لا حاجـة لتمهيد يحـاول تقريب مـا أنا بصدد الثناء عليه.. فكـرة الحرية متمثلة بمن أصفه دائمـا نبراسي ومعلمي .. أخي ابن أمي وأبي قاسـم عبد الأمير عجام الذي كان اغتياله ممراً لاغتيال ربيع العراق القصير.

الثناء هو بمعنى ما، التزام بالفكرة التي أفنى قاسم عبـد الأمير عجام حياته من اجلها، فكرة الإخلاص لقيم العدل والخير والجمال.

والكتابـة هنـا .. عرفـان وثنـاء وغضـب واحتجـاج أيضـا.. عرفان لكل مـن كتب كلمة بحق الكاتب والناقد والمفكر والعالم قاسم عبد الأمـير عجـام، وأدار نـدوة ونظـم أمسية عن سيرته وانجـازه وفكره، عرفـان بجهد زملاء من كتاب ومثقفين شهقوا ألما على اغتيال قاسم وصاحـوا غاضبين أن الطلقة التي حفرت ثقبا في جبهته كانت إشارة الى حملة للنيل من رأس العـراق وعقله، فالإثنين الأسـود السابع عشر مـن أيار ٢٠٠٤، كان إعلانا عـن حملة لتصفية علماء العـراق ومثقفيـه وكتابـه وصحافييه، حملة تصفية لحراس الضمير العراقي، عرفان بجهد أصدقاء سعـوا إلى بيت قاسم وأحاطوا أهله بفيض من محبة ورعاية، عرفان بوفائهم لمـن كان سندا لهم ومعلمـا وباذلا وحلو معشر يأنسـون بعذب كلامه وصـافي حكمته، عرفان لجهد فكـري عميـق ومؤثر للناقـدة والباحثة الدكتـورة نادية العـزاوي التـي درست في الراحل بعضـا من آثاره في كتاب حمل عنوان "القابض على الجمر".

وهـو أيضـا عرفان لكتـاب ومثقفـين عراقيين أطلقـوا مـن أقصـى المنفـى صرخـات غضب مثلمـا سكبوا دمعـا نبيلا، وعرفـان لنظرائهم داخـل الوطن ممن قالوا في الراحل كلمة حق، وهـم في كل ذلك انتمـوا إلى أنفسهم وثقافتهم الوطنيـة ودافعـوا عـن حريتهـا ونـددوا بكل أشـكال القمـع التـي أرادت وتريـد أن تحجـر عليهـم مرة أخرى، ومن هنا نجد أن عددا ممن استذكـروا قاسم وكتبوا عنـه اغتيلوا بطريقة ليست بعيدة عن الطريقة التي اغتيل بها .

وهـذا كتاب ثناء على سيرة عطرة وشخصية تحتـذى بهـا، ليـس لأن صاحبهـا هـو أخـي وحسـب، بل لأنهـا سـيرة نقاء وسـط أجواء آسنـة، سيرة محبـة وسط أجـواء متدفقة من الكراهيـة، سـيرة عطـاء ونكـران للـذات في زمـن شيـوع قيـم الأنانيـة، سـيرة حرية رغم جـدران العبودية، سيرة علـم ومعرفة، سيرة بنـاء في وقـت منـذور بالكامل للهـدم، سيرة صـبر ومجالـدة، سـيرة مـن ظل ينتمـي لأفق فكـري فسيـح رغـم عزلتـه المكانيـة والزمنية القسريـة، سـيرة مـن اجتمـع الناسـ، وهـم المتفرقون والمختلفون حد البلبلة، على محبته ونقائه وعفـة لسانه ويد، سيرة شخصية تكاد تختصـر في نهايتهـا سيرة العـراق في سعيه إلى حريته.

وهـي كتابة غضب واحتجاج على كل مؤسسة ونظـام ومجموعـة عملـت وخططـت وسعت ونفذت مشروع اغتيال العراق الحر الآمن عبر قتـل عقلـه وضمـيره وفكره وحراس روحه، عـبر اغتيال المفكريـن والكتـاب والصحافيين والعلماء والمهندسين والأطباء في حملة دونها كل أوصاف الظلام والهمجية، مثلما هو كتاب غضـب على كل جهـة مسؤولة في العراق ممن قصّـرت وتوانـت وغضـت النظـر لا عـن قتلة قاسم وحسب، بل عن عدم وقفها أو عملها على وقف دولاب مـوت وقتل وحشي ما انفك يدور ويـدور على مفكرين وعلماء وأدباء وأصحاب ضمير، حتى قارب ضحاياه الألف أو يزيد منذ العام ٢٠٠٣.

ولأن الراحـل فكرة وسـيرة تنتميان بقوة إلى قيم الحياة المفتوحة على الأمل، آثرت الثنـاء علـى "المـدى" ليـس لأنهـا كانـت بيته الشخصـي حـين ظل ينشـر مقالاتـه وبحوثه في صفحاتهـا، بـل لوفائهـا لفكرتـه- فكرتها، إذ واظبـت علـى نشر مـا كان أرسلـه إليها من مقالات وبحوث.

هنا التحية واجبة مرة أخرى لصاحب "المدى" وناشرها، الأستاذ فخري كريم، مثلما هي لنبل محرريها الزملاء الاكارم: قاسم محمد عباس، عبـد الزهـرة زكي وعـلاء المفرجـي وغيرهم، الذيـن حرصوا على إيفـاء الرجل بعض حقه، تقديـرا لا لمأساتـه الشخصية مفكـرا وإنسانا عبر اغتياله، بل لمعنى بات الراحل قاسم عجام دالا عليـه، اغتيال الفكـرة الخلاقة في عراق ما بعد العـام ٢٠٠٣. فبعد اغتيـال الناقد والمفكر والعـالم عجام، انفتـح مسلسل اغتيـال العقل العراقـي والذي لم ينته أو يوشك على الانتهاء حتى اليوم.

وليـس غريبـا حـين تكـون "المـدى" وفية لمن اختارهـا منبرا لأحلامـه ورؤاه وأفكاره، أن تكون نقيضها في المواقف، المؤسسة الرسمية التي اغتيل قاسم عبد الأمير عجام بسبب عمله فيهـا مديرا عاما: وزارة الثقافة، فهي إذ تنفتح علـى أمين وقتلة وأدعيـاء ومنافقين وسراق، ترفـض أن تعتـبره مستحقـا لأبسـط حقوقه الوظيفيـة حيالها، فيكـون تجاهلها له نموذجا صارخا لمحنـة المفكر والمثقف المستقل والنزيه في "العـراق الجديد" الذي بـات نهبا لبذاءات من كل نوع.

×كاتب وصحافي مقيم في أميركا

وفاة كارل فوينتس

روائيّ الحرية المأساوية وغبطة الأعماق

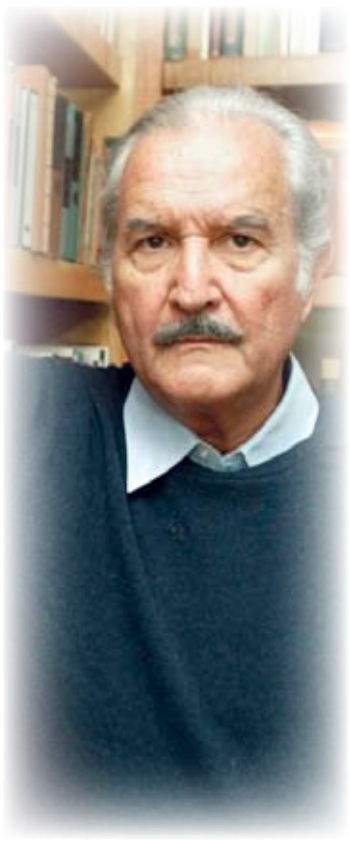

إعداد المدى

توفي يوم أمس الروائيّ المكسيكيّ الأشهر كارلوس فوينتس عن أربعة وثمانين عاماً وأكـثر من ثلاثين روايـة وعشرات الكتب الأخرى في شتى المجالات.

كانـت ولادة فوينتـس في نفـس السنـة "١٩٢٨" التي ولـد فيها غابريل ماركيز، ولـدا معـاً، ومعاً غـيّرا صـورة الأدب في أمـيركا اللاتينيـة والعالم. لكـن فوينتس ظـلّ، علـى العكـس مـن مجايلـه الأشهر، مجهـولاً لدينا نحـن القراء العـرب، فأول ترجمـة لأعماله كانـت في ١٩٨٤. روايته "موت ارتيمو كروز" التي ترجمها محمد عيتـاني وصدرت عـن مؤسسـة الأبحاث العربية يتحدث عنها فوينتس بقوله: إنها حـوار مرايا متقابلة بين جوانب شخصية عجوز محتضر يحاول مـن خلال الذاكرة ترميـم مـا تبقـى مـن حياتـه خـلال اثني عشـر يوماً، وفي الحوار مزيج من الواقع والفانتازيا ومن الذاكرة والاختلاق.

والروايـة تتبع بنية سردية غريبة وتظهر كفسيفساء من ٣٨ ذرة متفاوتة الطول.

طـوال أكـثر من خمسـين عاماً لم يتوقف فوينتـس عـن الكتابـة أدبـاً وسـيرة وسياسـة، رواياتـه يتناوب فيهـا الهمّان الجمـالي والسياسيّ كـدأب كلّ أعمـال أميركا اللاتينية المشغولة بالديكتاتوريّات وإرثها الثقيل، لكن المهمومة أيضاً بأسئلة الحرية، كما بتحويل الواقع إلى سحر.

يكتـب فوينتـس "ثمة جـوادان، الجمالي والسياسـي، والروائـيّ في أمـيركا اللاتينيـة غـارق في المهمـة الصعبـة: أن يمتطي الجوادين في آنٍ".

في آخـر حياتـه كتـب "ضـدّ بوش" لكنه كتب أيضاً ضدّ مـن يعلنون أنفسهم أعداء لبوش ، كالرئيس الفنزويلي شافيز، الذي كلف مستشاريـه بالردّ على فوينتس، لكنّ فوينتـس كتب عـن منتقديه هـؤلاء "إنهم مهرجون يعملون عند مهرّج".

ومثل كبـار الكتّـاب كان مشغـولاً بأسئلة الحرية والسعادة، أي بين العامّ والخاصّ ، كتـب مـرة: "لم تغـبْ السعـادة يوما عن التفكير الغربي. تميِّـز اللغة اللاتينية بين السعـادة التـي هـي ثـروة خارجية وبين الغبطة التي هي فعل داخلي". أما الحرية فهـي "مأسويـة، لأنهـا تُـدرِك ضرورتَها وحدودَها في آنٍ".

بعـد دقائـق مـن وفاتـه كتـب الرئيـس المكسيكـي فيليب كالديـرون على صفحته الخاصـة في تويتر " أشعـر بأسف عميق لوفـاة عزيزنـا كارلوس فوينتـس، وهو كاتـب عالمـي ومكسيكـي. لترقـد روحـه بسلام."

في ضيافة الخميس الابداعي

بلقيس حميد حسن: أبي هو الذي صاغني قصيدة جنوبية

محمود النمر

ضيّـف الاتحـاد العـام للأدبـاء والكتـاب العراقيين ، الشاعرة المغتربة بلقيس حميد حسـن، التـي هاجـرت مـن أرض الوطن عنـوة أو هربا من قبضة الطغمـة الفاشية الصداميـة ، قدم الجلسـة المسرحي فاضل عباس ،الـذي أعلـن أن تقـديم شاعـر هو ورطة قد تتكل بالنجاح، فإن منطقة الشعر هي من أكثر المناطق وعورة ، وتحتاج إلى حرفة ومعرفـة اللعبة ، لأنها منطقة ملغزة وملغومـة كذلـك هـي محبوكـة لا تحكمها خطـوط الخرائـط أي لا تخضـع إلى أي مسمى سوى الشعر .

وقـال إنـه سيـترك الشاعـرة تقـدم نفسها :(فنحن الآن في ضيافتهـا ،وسنسمع منها مـا هو مسكـوت عنـه في الغربـة ، فالكلام أولا وأخيراً للشاعرة والشعر). ثم تحدثت الشاعـرة بلقيس حميد حسـن عن طفولتها وما تحمل هذه المفـردة من انزياحات نحو الماضي الجميل ،عن صديقاتها ومدرستها، عن أبيها الذي كان يعلم أولاده اللغة وكيفية استعمال المفردات والنحو والحفظ ، بحيث استطاع هذا الرجل أن يفجر طاقات أولاده في سبك اللغـة واستخدامهـا في صياغات بليغة، وقالت : لقد تركت بغداد عام ١٩٧٩، ولأني لأول مـرة بعـد غياب طويل ربما من عام ١٩٧٧، اشتركـت في مسابقات شعرية في بغداد، وبعد غيابي الطويل كنت أتمنى مـن الإخوة الأدباء الذيـن يعرفون سيرتي الشعريـة والذاتيـة ، ان يتحدثـوا عنـي ، وليس أنا أتحدث عن نفسي .

وأضافـت بلقيـس: كان همـي هـو العراق الـذي حملتـه ، أنا مـن بيت يكتـب الشعر والـدي هـو الشاعر عبـد الحميـد السنيد، لديه ديـوان شعر بعنـوان "ألحان الروم" صدر عـام ١٩٦٤،وكان شاعـرا رومانسيا زاهـدا تـوج أول صفحـة مـن صفحـات ديوانـه، ببيتـين يقـول فيهمـا / إن أزهق المـوت روحـي / وغاب في الـترب جسمي / فثروتـي بعـد موتـي / ديـوان شعـري ورسمي .

وقـد ورثـتُ الزهد كذلك من أبـي فلا اطمع بـأي شيء في هذه الدنيا سوى الشعر فهو روحي ودمي .

وفي باب المداخلات كانت الفنانة سناء عبد الرحمـن تستذكـر بلقيس عندمـا كانت في المدرسة المتوسطة والثانوية، وكيف كانت بلقيـس تلقي بظلالهـا اللغـوي والنحوي علـى صداقتهما، حيث تعـرف أسرار اللغة والتصريـف وكانـت مدهشـة بصياغاتهـا الإنشائيـة وقـراءة الشعـر وقالـت" إن مسـيرة الفنيـة بـدأت منـذ كنـت طفلة في سـوق الشيـوخ الى السادس العلمـي ثم دخلت إلى الجامعة.

وجـــود مُـضـــاء بـــأعـــراس الجســـد

رياض النعماني

الإبـداع طريق الـرؤى الفـذة والأرواح الملهمة إلى المطلقات،

وهو الضوء الـذي يبُنى به العالم، ولأن الإبـداع ينطـوي على مثل هـذه الدرجة الخاصـة مـن الخطـورة والحساسية الفائقـة في صياغـة الحيـاة ، وإنجـاز حداثة البلدان، ووضع أساسات النظرة الشاملـة لعمليـة النمـو والتطـور فإنـه ينبغـي أن ينطلـق مـن رؤيـة أخلاقيـة جديـدة تحدد مسـارات التوجه الحديث وتفتـح وتوجـه وترسـم أدوات خلقـه العالية،

وهـو بعـد ذلـك فضـاء معـرفي تمارس فيه الـروح المبدعة طريقتهـا في صياغة المستقبل، وإضاءته وكشفه.

مـن هنـا فإن، النُظـم السياسية التي لا تُولي العالم الإبداعي اهتماما استثنائياً خاصـاً فإنها ستكـون بالتأكيد نظماً غير عادلـة وغير حضاريـة، ولا تليق بأنوار المستقبـل القادمة والتـي ينبغي الذهاب نحوها بطاقـة وشفافية وجوهر الإبداع الخلاق... ليس هناك من حق ولا عدالة حقـة في ظـل غيـاب الفعـل الوجـودي المؤثـر للعمل الإبداعي في جميع مراحل البناء اليومي للحياة .... والسياسي أو المسؤول السياسي الذي لا تدخل الثقافة في جوهـر نسيجـه الفكـري ، وموقفـه وتصـوره العـام للحيـاة والممارسـة السياسيـة .. فإنـه سيكـون في أحسـن الأحـوال سياسـيا فاشـلا ، لكنـه حقيقة سيغـدو رجلاً أقـرب لطبيعـة الدكتاتور والجـلاد الذي يـرى في أدوات التعذيب وفي الزنزانـة مكانـاً أمثـل لصناعـة الواقع.

هكـذا يجب أن تكـون الرؤية الجمالية للعـالم وعيـاً يسعـى لحيازتـه الفـرد والجماعـة كي تصبح الحريـة والتحرر هماً مشرفـاً وهواء نظيفـاً يتنفسه الكل في موكـب المسـيرة الإنسانيـة النبيلـة والمشرفة نحو ضفاف

الوجود المضـاء بأعراس وأعياد الكائن النوراني الحق.. الإنسـان الكامل الذي لا يمكننـا العثـور علـى وجـوده العالي إلا في اللحظـة التـي يتصالـح فيهـا السياسـي والفنـان في أعمـاق الكائـن الـذي يتصـدى لمهمـة صناعـة مستقبل الشعب الذي يقوده ويسعى إلى سعادته ونمـوه وكرامـة أبنـاء هـو وجودهـم الأعلـى إنسانيـة ونبـلاً وشرفـاً وطاقة في مشاركـة عمـوم البشريـة في سعيها إلى إرساء دعائم الحضارة الحقة والتي تليق بكلمة ووجود الإنسان القادم.

إن هذه الرؤية تستدعي حضوراً هائلاً للوعـي الفريد الخلاق اليقظ الذي يمزج قوى شاملـة، وإلهامات متنوعة وقدرات وطاقات عديـدة واستبصار عميق للفرد وللعـام في نشاطـه وفعلـه الخارقـين المنصهرين

في لحظـة عناق نادرة للكائـن والتاريخ توحد وتُحيل جميع الفنون وسيرورتها وتكثفهـا رافعةً إياهـا الى فضاء الرقص الرحيب، لأن الإنسان في تلك اللحظة من الوجود الراقص العظيم سيكون محض إيقاع ونشوة

وشفـوف وفـرح لا يتحقـق إلا في فعـل الحـب، وكلاهمـا الرقـص وفعـل الحب لحظتان استناريتان خلوصيتان يقربان الكائن من الله.

لـذا فـإن الرقـص الحقيقـي الـذي يمثل تطلـع الإنسـان الى الحريـة والنشـوة الكاملة والسمـوات التي تظل في حركة تفتُّح

دائمـة علـى سموات أخـرى أكثر جمالاً وضـوءاً وأعماقـاً لا نهائيـة، هو بعض مـن عمل الكائن الحـر في امتلاك أدوات الأخـلاق النبيلـة التـي تصنـع الوجود الشريف، الحيوي لحياته وحياة الحياة .. ففي الرقـص يستحيل الواحد إلى كل .. إلى هـواء ينتشـر في جميـع الجهات والرحـاب، والى قمـر يُضـيء السمـاء والأرض بنـور صاف ، شريـف وبهي.

في مثـل هذا الرقص. النشـوة.. تتوحد الأبعاد ويكون الـ(هناك) (هنا)

الكائـن الضوئـي يحققه الرقـص وفعل الحـب فقط. من هنـا ينبغـي أن نتعامل مـع الرقـص كقضيـة وليس كأمـر عابر بـراني .. قضيـة تساعدنـا في معرفـة جوانـب نغفلهـا مـن طبيعتنـا الخاصة، ففـي الرقـص يتفتـح الجسـد البشـري عـن إمكانـات هائلة وجغرافيـات عديدة نجهلهـا سابقـاً.. وفيه يستحيـل الكيان إلى كوكـب ذهبي وموكـب من أعراس أبدية تُرى فيها بـروق الجسد الإنساني الـذي يُضـيء ليـل الأعمـاق، والكـون بنوره الخاص الذي لا يتكرر..

هنـا يُثـار سؤال خاص.. هل يحق لنا أن نتعامـل مع هـذه الظاهرة الحضارية . الإبداعيـة كمـا يتعامـل سياسيـو هذه الأيـام الذيـن حولـوا بلادنـا إلى مكـب يستقبـل نفايـات الصناعـات الأجنبية، بما فيها الأدوات المشعة؟

هل يجوز لنا أن نجعل من هذه النعمى والالتماعـة الساميـة إلى مكب آخر لهذر وتقليد وسرقة مـا تعرضه شوارع المدن الأوربيـة؟ إن لـكل روح، ولـكل حـال ومقام، ولـكل طبيعة رقصهـا الخاص.. فالـذات الهنديـة علـى سبيـل المثـال لا الحصر، والتي لهـا طبيعة غنية وعميقة وشفافـة تـرى إلى العـالم مـن إشـراق البوذية التي تحترم كل عناصر الوجود (إنسانـاً ونباتـاً وحيوانـاً وحتـى الحجـر)، فهـي تشعـر بكامـل الامتنـان أمام جميع هذه العناصر التي يدور فيها وعليها النور المحرك للحياة.

الصوفيـة تـرى في الرقـص طريقـة تحويليـة لجسد الفرد إلى طريق ضوئي ومعبر معرفي يُوصل الذات بالمطلق..

والرقـص هو الحضـور الفذ للمطلق في كيان الفرد.. من هنا فإن رقص المتصوفة والبوذيين ينطلق من فكرة جوهر الكون الكامـن في الإنسـان ، والذي تتوفر فيه الدعـة والشفافيـة والصفـاء والمحبـة والود والغرام الـذي يفصح عن حركات وتعبيرات وأقواس مشرقية عبقة هائئة تحتضـن الوجـود برمته، وهـي في كل ذلـك تختلف عـن الرقـص الـذي تنتجه مجتمعـات تـرى مؤسساتهـا السياسية الحاكمـة في العنـف والحـروب والقوة وقهـر الآخـر وإلغـاء هويتـه وسيلـة مؤكدة لفرض هيمنتها وسيطرتها الكلية والوحيدة على عموم البشر.

في الرقص الأول إشراق إنساني ينطلق من أعماق نظيفة هائئة تتموج في ذهابها المحـب الدافئ العطـوف باتجـاه الآخر واحتضانـه والتوحد معه... أما الرقص الآخـر فإنه ينتج حركات عنيفة وساحقة وقاسيـة، هجوميـة لا تـترك للمتلقـي مسافـة للتأمـل والهـدوء، بـل الاندراج في لهـب وحمـم وتعبـيرات ساخطـة تتفجر هنا وهنـاك، فتملأ الروح والمكان بأصـوات وأبعـاد صاخبـة، جسدانيـة ليـس للـروح فيها مـن مـكان ولا مكانة. رقص الكائن المقهور والمقموع والمقصي شيء ، ورقص الآخر الذي لا يرزح تحت هذه الأوضار شيء آخر.

في الأول هيـاج وصـراخ وتوتر، وفي الثـاني هيمنة واضحة للطـف والصفاء والعذوبـة وجماليـات الإيقـاع وترافـة العيش، والرقص هـو في النهاية أحد تعبـيرات الثقافـة في بنـاء هويتها الإنسانيـة والمستقلـة.. وفي طريقـة الكشف العميق عن وجودها الحي.

رقص المظلـوم يختلـف عـن رقص الظالم

ولنأخـذ مثـلاً الكـردي البسيط يرقص بإخـوة رائعـة.. يتحرك وهـو يحتضن أخيـه في دورة هـي دورة الأرض في تجدد فصولهـا، وأيامها رافعـاً وملوحاً بمناديـل زاهيـة شفافة ومترعـة بغبطة ألـوان بهيجة تشبـه أرض كردستان.. كان صدام حسين يرقص ملوحاً وشاهراً سلاحـه الناري القاتـل.. وقد قتـل فعلاً وهو في غمرة الرقص أحد أفراد حمايته .كمـا تقـول .صديقتـه اليونانية محولاً إيـاه إلى نثـار يشبـه نثار رقيـة حمراء ضُربت بعنـف على صلبة لأنه أخبر أحد أصدقاء صدام بمكان وجود الأخير.

مـا زال الرقص لدى شعـوب عديدة حية يُعتبر طريقة حيـاة وطاقة غير اعتيادية في معرفـة العـالم، واكتشـاف أسـرار الوجـود العديـدة، وهـو معرفـة سوف نلمـس أهميتهـا في اكتشـاف الـروح الجمعيـة للشعـب والتـي تساعدنـا في إضـاءة جوانب متعددة مـن ذاتنا وبنية ثقافتنا المشرقة.

صحيـح أن عـراق اليـوم هـو عـراق الفوضـى الخلاقة التي نـرى تعبيراتها المنحطّـة والرديئـة في حقول عـدة .عدا الكهربـاء وقضية التنمية .مثـل الأغنية والمسـرح والشعـر العامـي، وخطـاب الفضائيات وزحام الشوارع والساحات بصـور تحتـل الواجهـات والمساحـات العامة، فإننـي أرى أن في العراق روحاً ما زالت تعي وجودها ومصيرها وأهمية تاريخها وفنونهـا في الحياة المعاصرة، وهـي قـادرة على تحريـك المشهـد العام لفضـاء الثقافـة والفنـون، وبإمكانهـا أن تُشـير إلى رقص هذه الأيـام والذي تشيعـه وتشجعـه وتقيم لـه المهرجانات دوائـر ومؤسسـات معروفـة ونعرفها جيـداً فهـي دوائـر محتلة مـا زالت ترى في الاحتـلال عملاً يجب علـى العراقيين أن يحتفـوا بـه ويبتكـروا الأناشيد في مديحه الدائم .

أوجـه رجائـي الدائـم للنخـب الثقافيـة النظيفة

.العمـل كي لا يتحـول العراق إلى ميدان للصراعـات، وقيـم الـرداءة والـردة والجهل الذي يؤكد بالوقائع (كلشي عند العراقيين صابون).